



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

اليأس والقنوط وعلاجهما في القرآن الكريم

بحث مقدم إلى اللقاء العلمي الثامن لطلاب وطالبات جامعة أم القرى

محور الأبحاث العلمية - مسار العلوم الإنسانية ١

إعداد الطالبة:

أمل بنت عبدالعليم عبدالعظيم بستوي

طالبة بكالوريوس بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة

إشراف:

د. فريدة بنت محمد أحمد الغامدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة أم القرى

١٤٣٧هـ - ١٤٣٨هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث

هذا البحث يتحدث عن آفة نفسية تعترض الإنسان فتدمره، وهي اليأس والقنوط.

يتطرق في **الفصل الأول** إلى بيان معنى اليأس والقنوط، والفرق بينهما، والحكم الشرعي بدليله من القرآن، ثم معرفة أسبابهما من خلال استقراء آيات القرآن التي ورد فيها ذكر اليأس والقنوط، وبيان الآثار المترتبة على هذه المشاعر السيئة. ثم في **الفصل الثاني** تكمن أهمية البحث فهو يبين العلاج الرباني لليأس والقنوط من خلال القرآن الكريم الذي لم يهمل هذا الشعور النفسي.

وسار البحث على المنهج الاستقرائي، والاستنتاجي.

ومن أبرز النتائج التي ظهرت: أن اليأس أعم من القنوط، وحكهما التحريم. وأن الكفر، والانغماس في المعاصي، وابتلاءات الدنيا توقع الإنسان في وحل اليأس والقنوط، مما تجعله يسيء الظن بالله، ويستمر في ارتكاب المعاصي، ويعجز ويكسل عن تحصيل الأسباب؛ لضعف إرادته وموت همته. وأن النهي عن اليأس والقنوط يدفع المؤمن لانتهاه عنهما طاعة لله واستجابة له. وإخبار الله عن رحمته الواسعة، ودعوته إلى التوبة والاستغفار يبعد اليأس والقنوط عن النفس. وبحسن الظن بالله، ورجاؤه، والتوكل عليه، يتقوى اليأس على يأسه. والصبر والرضا بالقضاء والقدر يحمي من الوقوع في براثن اليأس والقنوط.

ومن أهم التوصيات: الحذر من كثرة المعاصي وتسوية التوبة. والحرص على عدم الاستسلام لهذه الآفة ومحاولة دحرها. وللباحثين: التوصية بدراسة أثر الإيمان بأسماء الله وصفاته على النفس اليائسة والقانطة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي ترجوه قلوب المؤمنين، القائل في كتابه الكريم: {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} ^(١)، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

احتوى القرآن الكريم على تشريعات حكيمة لسائر أمور الحياة، ومنها ما يعترض النفس من أمراض وآفات، وقد قال تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} ^(٢). ومن هذه الآفات النفسية: اليأس والقنوط.

هذه الآفة التي تحطم في النفس الرغبة في العمل، والبناء، والنهضة، وتدمر الروح الإيجابية التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن، وهي إن تمكنت في النفس أدت في النهاية إلى الانتحار الذي يظنه اليأس حلاً أخيراً للمعاناة وهنا تكمن الخطورة. لذا كان هذا البحث بعنوان: (اليأس والقنوط وعلاجهما في القرآن الكريم) رغبة مني لحل هذه المشكلة والحد من انتشارها.

الدراسات السابقة:

١. اليأس (دراسة قرآنية)، فاطمة أحمد محمود الحاج حسن، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠١١م.

٢. الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله في ضوء عقيدة أهل السنة، د. ناصر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع، مجلة العلوم الشرعية، العدد ١٥٥، ربيع الآخر ١٤٣١هـ.

٣. القنوط من رحمة الله أسبابه مظاهره علاجه في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، د. إبراهيم بن عبدالله الحماد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٨٩، صفر ١٤٣١هـ.

٤. القنوط في القرآن الكريم، د. أحمد جلوب، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد ١٧.

(١) سورة الزمر، من الآية: ٥٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

أهمية البحث: تكمن في بيان العلاج الرباني لليأس والقنوط.

أسئلة البحث:

١. ما معنى اليأس والقنوط، وما الفرق بينهما؟

٢. ما حكم اليأس والقنوط، وما أسبابهما؟

٣. ما هي آثار اليأس والقنوط؟

٤. كيف عالج القرآن الكريم آفة اليأس والقنوط؟

أهداف البحث: بيان معنى اليأس والقنوط والفرق بينهما، وتوضيح حكمهما، ومعرفة أسبابهما، وبيان الآثار

المرتبة عليهما، وإبراز منهج القرآن الكريم في علاج اليأس والقنوط.

منهج البحث: اتبعت المنهج الاستقرائي، والاستنتاجي.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة. وتشمل: الدراسات السابقة، وأهمية البحث، وأسئلته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

الفصل الأول: مفهوم اليأس والقنوط وحكمهما وأسبابهما والآثار المترتبة عليهما.

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى اليأس والقنوط والفرق بينهما.

المبحث الثاني: حكم اليأس والقنوط.

المبحث الثالث: أسباب اليأس والقنوط من خلال القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.

الفصل الثاني: علاج اليأس والقنوط في القرآن الكريم. ويحتوي على ستة مباحث:

المبحث الأول: الامتنال لنهي الله عن اليأس والقنوط.

المبحث الثاني: تذكر سعة رحمة الله.

المبحث الثالث: الإكثار من التوبة والاستغفار.

المبحث الرابع: حسن الظن بالله ورجاؤه.

المبحث الخامس: التوكل على الله واستشعار عظيمته وقدرته.

المبحث السادس: الصبر والرضا بالقضاء والقدر.

الخاتمة. وفيها: النتائج والتوصيات.

وفي ختام هذه المقدمة:

لله كل الحمد والشكر والثناء؛ على فضله، وإحسانه، ونعمته التي أتمها عليّ بإتمام هذا البحث.
ثم الشكر لأمي وأبي -رحمه الله-؛ لهما كل الفضل بعد فضل الله في نجاح مسيرتي العلمية، وهما خلف كل إنجاز في حياتي، فجزاهما الله جنة الفردوس.
كما أشكر الصرح الذي نملت منه العلم: جامعة أم القرى؛ التي دعمت، وشجعت، ونادت بالمشاركة في المؤتمرات العلمية.

وأعذب الشكر لكل أستاذاتي اللاتي تعلمت على يديهن، فجزاهن الله كل خير.
وفيض من الشكر والامتنان لمن أكرمتني باهتمامها، وقدمت لي من علمها ووقتها، فوجهتني، ودفعتني لأبذل كل جهدي في هذا البحث. سعادة الدكتورة فريدة الغامدي رفع الله قدرها في الدنيا والآخرة وجزاها عني من واسع فضله..

وختام مشاعر الامتنان شكري لصديقتي رولا الشمري؛ التي مدت لي يد العون في هذا البحث.

والحمد لله الموفق والمسدد.

الباحثة: أمل بستوي

الجمعة ٢٠/١١/١٤٣٦هـ

الفصل الأول:

مفهوم اليأس والقنوط وحكمهما وأسبابهما
والآثار المترتبة عليهما.

المبحث الأول: معنى اليأس والقنوط والفرق بينهما.

أولاً: معنى اليأس.

١ / لغة: اليأس من مادة (ي أ س)، يقال: يئس من الشيء يئأس ويئيس، وهو انقطاع الأمل، وضده الرجاء. واليأس: هو القنوط.^(١)

٢ / اصطلاحاً: قيل: "اليأس هو انقطاع الرجاء"^(٢)، وقيل: "اليأس هو القطع بأن الشيء لا يكون، وهو ضد الرجاء"^(٣)، والرجاء: "هو تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل"^(٤).
فيكون معنى اليأس: انقطاع الرجاء في حصول المطلوب.

ثانياً: معنى القنوط.

١ / لغة: القنوط من مادة (ق ن ط)، يقال: قَنَطَ يَقْنِطُ وَيَقْنُطُ قُنُوطاً، وهو اليأس.^(٥)

٢ / اصطلاحاً: قيل: "القنوط: اليأس من الرحمة".^(٦)

وبناءً على معنى اليأس يكون معنى القنوط: انقطاع الرجاء في حصول الرحمة خاصة.

ثالثاً: الفرق بين اليأس والقنوط.

يظهر من الناحية اللغوية أن اليأس والقنوط مترادفان، لكن المعنى الاصطلاحي أظهر فرقاً بينهما، وعند التأمل في السياق القرآني الذي وردت فيه هاتان اللفظتان نلاحظ أن كلاً منهما وضعت في المكان المناسب، فلا يمكن استبدال أحدهما بالآخر؛ لأن المعنى سيختل، و"القرآن الكريم يورد كل لفظة في المعنى الأخص بها"^(٧).

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٩، ص٤٨. / القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ص٧٥١. / لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، ج٦، ص٢٥٩.

(٢) الكليات، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، ص٩٨٥.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف بن المناوي، تحقيق: عبدالحاميد صالح حمدان، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، باب الباء، فصل الألف، ص٣٤٦.

(٤) كتاب التعريفات، للجرجاني علي بن محمد بن علي، حققه: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ، ص١٤٦.

(٥) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي، ج١٠، ص٣٩٢. / لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، ج٧، ص٣٨٦.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، باب القاف، فصل النون، ص٢٧٦.

(٧) المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ، ص٢٠٣.

فوجد لفظة (اليأس) تأتي في سياق الحديث عن الكفر، وأنه من صفات الكافرين. قال تعالى: {وَلَا تَبْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (١)، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَبْسُوْا مِنْ آخِرَةِ كَمَا يَبْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} (٢). واليأس كما سبق: هو انقطاع الرجاء في حصول المطلوب عامةً، فالكفار أنكروا البعث وما بعده، ووجدوا آيات الله، فانقطع رجاءهم بالآخرة، وبنعيم الجنة (٣). كما انقطع رجاءهم في الانتصار على دين الإسلام، ودحره، بعدما رأوا غلبة أمره، وتمكنه، وقوته في فتح مكة. قال تعالى: {الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ} (٤). ويأتي ويأتي اليأس قريناً للشر كما في قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُتُوسًا} (٥). (٦)

أما لفظة (القنوط) جاءت في سياق الحديث عن الرحمة. قال تعالى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} (٧)، وقال تعالى: {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} (٨).

وفي قوله تعالى: {لَا يَسْتَمُّ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُتُوسُ قَنُوطٌ} (٩) ذكرت الآية اليأس من حيث إنه قرين الشر، وأتبعته بالقنوط من حيث إنه يأس من الخير. (١٠)

مما سبق نستنتج: أن اليأس أعم من القنوط فهو انقطاع الرجاء من أي شيء، والقنوط هو انقطاع الرجاء في حصول الخير والرحمة خاصة.

(١) سورة يوسف، من الآية: ٨٧.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

(٣) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص ١٣٤٥.

(٤) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٥) سورة الإسراء، من الآية: ٨٣.

(٦) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس خضر الدوري، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م، أطروحة دكتوراة، ص ٢١١.

(٧) سورة الروم، الآية: ٣٦.

(٨) سورة الزمر، من الآية: ٥٣.

(٩) سورة فصلت، الآية: ٤٩.

(١٠) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس خضر الدوري، ص ٢١٢.

المبحث الثاني: حكم اليأس والقنوط.

وضح القرآن الكريم ضمن جملة تشريعاته وأحكامه حكم هذه الآفة النفسية من عدة وجوه:

أولاً: جاء النهي عن القنوط صريحاً في قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ^(١). والنهي يفيد التحريم؛ لأن الأصل في النهي أنه للتحريم ^(٢).

ثانياً: مجيء اليأس والقنوط في آيات القرآن الكريم في سياق الذم والزجر يدل على النهي غير الصريح ويدل على طلب الترك ^(٣). فعلى سبيل المثال: قوله تعالى: {وَلَكِن أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ} ^(٤)، وقوله تعالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً} ^(٥) وقوله تعالى: {وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} ^(٦).

ثالثاً: حين يستسلم الإنسان لمشاعر اليأس والقنوط فهو بذلك يكون قد أساء الظن بالله، "وهذا من أعظم المحرمات وأقبح الذنوب" ^(٧). ويكون منكرراً لقدرته سبحانه وإرادته في تصريف الأقدار كيفما يشاء، ومنكرراً للآيات للآيات الصريحة التي تدل على سعة رحمته، وأنه الغفور التواب ^(٨).

من خلال ما سبق يتبين أن حكم اليأس والقنوط هو: التحريم.

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) ينظر: قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد عثمان السبت، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ، ج ٢، ص ٣٩-٤٠.

(٣) النهي الغير الصريح المفهوم من ذمه أو ذم فاعله في النواهي. (ينظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥).

(٤) سورة هود، الآية: ٩.

(٥) سورة الإسراء، من الآية: ٨٣.

(٦) سورة الروم، الآية: ٣٦.

(٧) القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ج ٢، ص ٣٨٣.

(٨) من هذه الآيات قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [سورة الأنعام، الآية: ٥٤].

المبحث الثالث: أسباب اليأس والقنوط من خلال القرآن الكريم.

إن مشاعر اليأس والقنوط التي تنشأ في النفس الإنسانية لا بد أن يكون لها أسباب مهدت لها، وساهمت في تمكنها من النفس، ومن خلال آيات القرآن الكريم ظهر أن الأمور التي تؤدي بالإنسان إلى اليأس والقنوط تنحصر في ثلاثة أمور:

أولاً: الكفر بالله عز وجل.

فالكافرين بحجج الله، والمنكرين لأدلته، والجاحدين بيوم القيامة وإمكانية البعث، تمكن منهم اليأس واستقر في أعماقهم؛ فهم لكفرهم بالله عز وجل لا يرجون خيراً في الدنيا والآخرة. ^(١) قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ^(٢). ومن يتأمل الواقع في المجتمعات الكافرة يجده كما ذكرت، واحصائيات الانتحار عندهم تشهد بهذا ^(٣).

ثم يوم القيامة حين يبعث الله الموتى من قبورهم، ويحشرهم إلى موقف الحساب، ييأس الذين أشركوا بالله واليوم الآخر، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال، من الكفر، والمعاصي، والجحود، والاستكبار، فلم يقدموا عملاً صالحاً يشفع لهم وينالون به رحمة الله. ^(٤) قال تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} ^(٥).

ثانياً: الإسراف في المعاصي، والإفراط في الخوف من الله.

يؤخذ هذا من قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ^(٦)، فحين تنزلق أقدام العبد في وحل المعاصي والمحرمات، ويزين له الشيطان الانغماس في الشهوات، ويسرف في ارتكاب ما نهى الله عنه، يجد نفسه غارقاً بين ذنوبه وآثامه، فيتسلل

(١) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ج ١٨، ص ٣٨٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٣.

(٣) للاطلاع على الاحصائيات ينظر: آفة الانتحار في المجتمعات الغربية <http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-46-1144.htm>، ١٦/٥/١٤٣٨هـ.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج ١٨، ص ٤٦٨ / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص ٦٣٨.

(٥) سورة الروم، الآية: ١٢. والإبلاس هو: "اليأس من الفرج". (التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، باب الألف، فصل الباء، ص ٢٧).

(٦) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

إليه اليأس، ويتمكن منه، ويظن أن الله لن يغفر له هذه الذنوب العظام، وينسى أن الله واسع الرحمة والمغفرة، فتضعف إرادته، ويبالغ في خوفه من الله، ويستسلم اعتقاداً منه أن الله لا يقبل توبته لو تاب وأتاب.^(١) والمتأمل للواقع يجد أن الإفراط في الخوف من الله يقع كثيراً ممن ارتكب أشد المعاصي؛ لأن الشيطان حريص على ألا يعود الإنسان لربه ويرجوه ويحسن الظن به.

ثالثاً: المصائب والابتلاءات، وعدم حصول ما يريده الإنسان.

من أهم الأسباب التي تجعل مشاعر اليأس تعتري الإنسان، هي المصائب والابتلاءات التي تنزل عليه، وفقد ما كان يتمتع به من النعم، وعدم حصول ما يسعى إليه ويتأمله من الأمور الدنيوية.

وهذه طبيعة الإنسان، كما قال تعالى: **{وَلَئِن أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسُ كُفُورٌ}**^(٢)، فالإنسان حين تنزع منه نعمة يستسلم لليأس، ويظن أن الله لن يردها له، أو يعطيه خيراً منها، ويكفر بكل ما كان فيه من النعيم.^(٣) "وفي التعبير بالذوق في هذه الآية ما يدل على أنه يكون منه ذلك عند سلب أدنى نعمة ينعم الله بها عليه"^(٤). كذلك في قوله تعالى: **{وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ}**^(٥).

ولا يعل الإنسان من دعاء الخير لنفسه، من المال، والصحة، وسائر أمور الدنيا، وإذا مسه البلاء، والشدة، والفقر، والمرض، يقنط من رحمة الله ويأس من زوال المكروه.^(٦) كما ذكر الله: **{لَا يَسْتَمُّ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسُ قَنُوطٌ}**^(٧).

وهذا السبب يلاحظه الانسان في نفسه، ومن حوله. وهو من وجهة نظري أكثر أسباب اليأس وقوعاً؛ لأن حياة الإنسان وأحواله كثيرة التقلب.

(١) ينظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار القيس، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٩.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن السعدي، ص ٣٧٨.

(٤) فتح القدير، لحمد الشوكاني، ص ٧٩٣.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٦.

(٦) ينظر: فتح القدير، لحمد الشوكاني، ص ١٥٧٩.

(٧) سورة فصلت، الآية: ٤٩.

المبحث الرابع: الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.

يترتب على اليأس والقنوط آثاراً عديدة، من أبرزها:

١- سوء الظن بالله.

فالمذنب القانط من مغفرة الله وعفوه يظن أن ذنوبه أعظم من أن يغفرها الله له، وإن كان في نعمه ثم نزعته منه يظن أن الله غير قادر على إعادتها إليه، وأنه لن ينعم عليه، ولن يلفظ به، ومن يسعى في حاجة له ثم لا تتحقق ولا يحصل على مراده، ييأس، ويظن أن الله لا يريد له الخير.

٢- الاستمرار في المعاصي وترك الطاعات.

فاليأس والقانط حين يرى أنه هالك لا محالة لا يبالي بالمعاصي التي يرتكبها، ولا يهتم لفعل الطاعات، وكسب الحسنات، والشيطان حريص على استغلال ضعف الإنسان حال اليأس والقنوط؛ ليضله عن سبيل الله^(١)؛ إذ أن من أهداف الشيطان: إيقاع العباد في المعاصي، وصددهم عن طاعة الله^(٢). قال تعالى: {قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} ^(٣).

٣- الهم والغم والحزن.

فالقانط من رحمة الله ومغفرته يحزن لما صدر منه من معاصي وذنوب، ويعتزم ويهتم لمعرفة بمصيره وهو العذاب، واليأس يحزن كلما تذكر مكروهاً ماضياً حدث له، ويعتزم على المكروه الحاصل في الحال من عدم تحقق ما يرجوه أو من مصيبة واقعة عليه، ويهتم لأمره في المستقبل فلا يتأمل خيراً ولا يتفائل بحال أفضل^(٤).

٤- الإحساس بالعجز والكسل وضعف الهممة.

فلا يسعى اليأس ولا يعمل الأسباب؛ ليحصل على ما يرجوه ويتأمل، بل يبقى خانعاً مستسلماً لحاله، ضعيف الإرادة، ميت الهممة، فلا المذنب يبادر للتوبة، وفعل الطاعات، ولا الشاكي من حاله يسعى لفعل ما يغير حاله للأفضل. لهذه الآثار السيئة كان العلاج حتماً لازماً، ولم يترك القرآن الكريم هذه المشاعر، بل في آياته العظيمة ما يبعث الأمل، ويحيي العزيمة، ويقتل اليأس والقنوط. تتجلى في مباحث الفصل الثاني.

(١) ينظر: عالم الجن والشياطين، تأليف: عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٢١هـ، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦-١٧.

(٤) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية الحنبلي، مكتبة المعارف،

الطائف، بدون طبعة وتاريخ، ص ٣٦٩.

الفصل الثاني:

علاج اليأس والقنوط في القرآن الكريم.

بعدما تبين حكم اليأس والقنوط وأسبابهما وآثارهما، لابد من بيان العلاج. والكتاب العظيم لم يهمل هذه المشاعر، بل في آياته توجيهات ربانية تقضي عليها، وتبعث الأمل والرجاء في النفس، تتمثل في المباحث التالية:

المبحث الأول: الامتنال لنهي الله عن اليأس والقنوط.

قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١). في كتابه سبحانه وتعالى أوامر ونواهي يجب أن تمتثل وتتبع؛ فهو منهج الحياة. وهذه الأوامر والنواهي من الله لعباده هي لمصلحة البشر. وإذا أمر سبحانه بشيء فقد أحبه ورضيه، وهو لا يحب شيئاً إلا وفيه الخير لعباده، وما نهي عنه فقد أبغضه وكرهه، ولا يبغض شيئاً إلا وفيه شر وضرر على عباده. (٢)

وفي قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (٣) النهي عن القنوط من رحمة الله تعالى وإن كثرت الذنوب. (٤)

وكذلك في قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: {وَلَا تَيَاسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (٥) نهي عن اليأس لبنيه من لقاء يوسف وأخيه؛ فمهما كانت المصيبة والكربة لا يحل للعبد أن ييأس من فرج الله؛ فإنه لا يقطع رجاءه منه إلا الذين يجحدون قدرته. (٦)

وقال جل وعلا في كتابه الذي أمر باتباعه: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (٧) وإن اليأس والقنوط مما يؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة؛ كما تبين من آثاره المترتبة عليه، ويقول ابن جرير الطبري: "الآيس من رحمة الله لذنب سلف منه ملقٍ بيديه إلى التهلكة؛ لأن الله نهي عن ذلك" (٨).

فإذا علم اليايس هذا، وسارع إلى الانتهاء عن يأسه كلما باغته، ودافعه طاعةً لله واستجابةً لنهيهِ، حصل له الخير، واندفع عنه الشر. فإن غلبه اليأس والقنوط؛ لضعف عزيمته. تذكر سعة رحمة الله.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٢) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم الجوزية، ص ٢٥٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) ينظر: فتح القدير، لمحمد الشوكاني، ص ١٥٤٢.

(٥) سورة يوسف، من الآية: ٨٧.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج ١٣، ص ٣١٤.

(٧) سورة البقرة، من الآية: ١٩٥.

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج ٣، ص ٣٢٤.

المبحث الثاني: تذكر سعة رحمة الله.

يخبر الله في كثير من آياته عن رحمته العظيمة الواسعة التي تشمل كل الخلائق، منها قوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} (١) "وهي آية عظيمة الشمول والعموم" (٢). (٣)

فإن كان المرء يروم إلى أمر في دنياه، وطال به الدهر ولم يظفر به وركن إلى اليأس، فليعلم أن من له ملك السماوات والأرض قد أوجب على نفسه الرحمة تفضلاً منه، وإحساناً لخلقهِ (٤) في قوله تعالى: {قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} (٥).

ومن قنط من رحمة الله بعد أن أغرق نفسه في وحل المعاصي يتمعن في قوله تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٦) "وهذا استعطاف منه للمتولين عنه إلى الإقبال عليه، وإخبار بأنه رحيم بالعباد، لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة" (٧).

وتأمل رحمة الله بعبده أيوب عليه السلام، إذ ابتلاه الله في ماله وولده وجسده، وطال عليه البلاء فتضرع إلى الله واصفاً نفسه بالعجز والضعف، وربه بغاية الرحمة، فأجابه ربه وأزال الضر والبلاء وفرج كربته وعوضه خيراً؛ من رحمته تعالى به. (٨) قال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ} (٩).

إن تدبر هذه الآيات الكريمة لا يدع مجالاً لليأس والقنوط في قلب المؤمن الذي يؤمن بسعة رحمة الله، ورحمة الله يدركها المؤمن العاصي بالتوبة والاستغفار.

(١) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص ٧٨٨.

(٣) وتنجلي رحمة الله عز وجل في أمور. منها: قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧]، وقال تعالى: {وَمِن رَّحْمَتِي جَعَلْتُ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتُبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة القصص، الآية: ٧٣]، وقال تعالى: {فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُعْجِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [سورة الروم، الآية: ٥٠]. وللاستزادة ينظر: رحمة الله بين الرجاء واليأس، د. مبروك عطية، دار أخبار اليوم، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، الفصل الثاني: مظاهر رحمة الله تعالى.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير، ص ٦٨٦.

(٥) سورة الأنعام، من الآية: ١٢.

(٦) سورة الأنعام، من الآية: ٥٤.

(٧) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إعداد وتحقيق: خالد عبدالرحمن العك- مروان سوار، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ج ٢، ص ٨٧.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير، ص ١٢٤٥. / صفوة التفاسير، تأليف: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٩) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣-٨٤.

المبحث الثالث: الإكثار من التوبة والاستغفار.

يعلم الله سبحانه وتعالى أن إبليس توعده بإغواء عباده الصالحين، ويعلم سبحانه أن بني آدم سيقع منهم المعاصي والذنوب، ومن عنايته جل شأنه بعبدته المسلم أنه لم يتركه يتخبط في ظلمات المعصية، وهو يريد له الخير والفلاح، ويجب العفو؛ لذا نجد كثيراً من الآيات تدعو إلى التوبة والاستغفار وبشتى الأساليب، منها قوله تعالى: **{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً}**^(١)، فالاستغفار هو سبيل الوصول إلى مغفرة الله ورضوانه، ونيل عفو ورحمته. "ويقول الله ممتناً على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه"^(٢): إليه"^(٣): **{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}**^(٣).

وإذا كان الله يعد الكافرين بالمغفرة إن انتهوا عما هم فيه من الكفر، وأسلموا وأطاعوا الله^(٤) في قوله تعالى: **{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ}**^(٥) فلا شك أنه سيقبل توبة عبده المؤمن ويغفر له. ولكن على العاصي المسارعة في التوبة؛ قبل أن يدركه الموت؛ فلا يقبل الله توبة من عمل المعاصي، واستمر عليها حتى إذا جاءه الموت واستشعر النهاية تاب وأناب.^(٦) قال تعالى: **{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً}**^(٧). ولا يعني هذا أن نحكم على من مات عاصياً -وهو مؤمن بالله- بعدم المغفرة مطلقاً، مطلقاً، إنما أمره إلى الله، ورحمة الله واسعة، لكن في الآية تحذير وتخويف لا بد أن يُنتبه له.

وحقيقة التوبة: أن يرجع العبد إلى عبوديته التي خُلق لها بالندم على ما سلف منه في الماضي من الذنوب، والإقلاع عنها في الحال، والعزم على عدم العودة إليها في المستقبل.^(٨)

إن العودة الصادقة الدائمة إلى الله، وطلب المغفرة منه بالاستغفار بعد كل ذنب، بقلب ذليل خاشع يرجو عفو الله وصفحه، يمنع سيطرة اليأس والقنوط على النفس، ويُجَلِّ الرِّجاء، وحسن الظن بالله في القلب.

(١) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير، ص ١٦٧٠.

(٣) سورة الشورى، من الآية: ٢٥.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج ١١، ص ١٧٧.

(٥) سورة الأنفال، من الآية: ٣٨.

(٦) ينظر: صفوة التفاسير، محمد الصابوني، ج ١، ص ٢٦٦.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٧-١٨.

(٨) ينظر: التوبة والاستغفار، تصنيف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عمر الحاجي - عبدالله بدران، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ص ١٠.

المبحث الرابع: حسن الظن بالله ورجاؤه.

لما كان اليأس هو انقطاع الرجاء، ومن آثاره سوء الظن بالله؛ كان الحث بضده -وهو حسن الظن بالله

ورجاؤه- أحد نواحي العلاج.^(١)

في القرآن الكريم تأتي آيات الوعد بالمغفرة أملاً لكل المذنبين المخاطبين في حق الله جل شأنه، فقلوه تعالى:

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ

الْعَفُورُ الرَّحِيمُ}^(٢) فيه من البشارة ما يجعل الرجاء يتملك قلوب المؤمنين، فيحسنون الظن برهم، ويثقون بوعدده إن

إن هم توجهوا إليه بطلب العفو والمغفرة^(٣)، بل إن "النهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء"^(٤). وقال تعالى: {إِنَّ

إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}^(٥)، و{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}^(٦). في

في هذه الآيات ما يحيي الرجاء في القلب، ويبعث على حسن الظن بالله، مع الحذر من عذابه وعقابه؛ فقلب

العبد ينبغي أن يكون بين الرجاء والخوف، والرغبة والرهبة.^(٧)

كما تأتي آيات الوعد باليسر أملاً لكل من ضاقت عليه دنياه، واشتد عليه كربه، ويئس من زوال مصيبتة

وهوائها، فقلوه تعالى: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}^(٨) "وعد منه ووعدده حق وهو لا يخلفه"^(٩) بأن العسر

يعقبه فرج ورحمة وزوال للشدة، والتكرار في قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}^(١٠)

"للتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء"^(١١)، ومبالغة في حصول اليسر. ثم إن التعبير بالمعية فيه بشارة بحصول اليسر عاجلاً

فكل عسر معه يسر^(١٢).

وحسن الظن بالله يقتضي التوكل عليه، وتفويض الأمور إليه.

(١) ولا يكون حسن الظن بالله والرجاء إلا بعد السعي والعمل والإتيان بالأسباب الداعية لحصول ما يرغبه الإنسان.

(٢) سورة الزمر، من الآية: ٥٣.

(٣) ينظر: فتح القدير، محمد الشوكاني، ص ١٥٤٢.

(٤) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبدالموجود-علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،

الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ، ج ٧، ص ٤١٦.

(٥) سورة النجم، من الآية: ٣٢.

(٦) سورة الرعد، من الآية: ٦.

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، ص ٤٣٢.

(٨) سورة الطلاق، من الآية: ٧.

(٩) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير، ص ١٨٨٨.

(١٠) سورة الشرح، الآية: ٥-٦.

(١١) معالم التنزيل، للبغوي، ج ٤، ص ٥٠٢.

(١٢) ينظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج ٨، ص ٤٨٤.

المبحث الخامس: التوكل على الله واستشعار عظمته وقدرته.

إن التوكل على الله سبحانه وتعالى يقوي اليأس فيستطيع دحر يأسه، وإن اليأس يتضاءل في نفس العبد عند استشعار عظمة الله وقدرته. فمن اعتمد على القوي العظيم في أموره الدينية والدنيوية، وصدق في ذلك، تولاها الله، ودبرها له أحسن تدبير. ^(١) قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} ^(٢). ويستطيع الإنسان أن يلحظ يلحظ هذا بتأمله لحياته وأحداثه الماضية.

وكثيراً ما تأتي آيات الكتاب الكريم في الحث على التوكل والأمر به. قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} ^(٣) ولا تتم حقيقة التوكل إلا بأمور منها: معرفة الله وصفاته. ^(٤) فهو الحي القيوم، خالق كل شيء، تتجلى قدرته في خلق السماوات والأرض وما بينهما. ^(٥) قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} ^(٦). ^(٧)

ومعرفة قدرة الله يجعل النفس مطمئن ولا تيأس، فهو القادر على غفران الذنوب جميعها، وهو القادر على نصر دينه على الأعداء، وقادر على نصرة المظلومين، وقادر على تحقيق ما تصبو إليه نفس الإنسان وإن كان الواقع يجعل الأمر مستحيلاً، وهو القادر على رفع الضر والبلاء، ولا أحد سواه يكشف السوء، وهو القادر على إنزال كل ما هو خير. قال تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ^(٨).

وإن من ثمار التوكل على الله الصبر والرضا والتسليم للقضاء والقدر.

(١) ينظر: مدارج السالكين، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة السابعة،

١١٤٢٣هـ، ج ٢، ص ١١٤.

(٢) سورة الطلاق، من الآية: ٣.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٣.

(٤) ينظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ج ٢، ص ١١٨.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير، ص ١٣٦٢.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٥٨-٥٩.

(٧) للاستزادة في هذا الموضوع ينظر: التوكل على الله في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي)، معتوقة بنت محمد الحساني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٧.

المبحث السادس: الصبر والرضا بالقضاء والقدر.

كل ما يكون في هذه الدنيا هو من قضاء الله وتدبيره، بكلمة كن، يكون الأمر على ما أَرَادَهُ اللهُ. ^(١) قال

تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} ^(٢).

ومن قضاؤه سبحانه: المصائب التي تنزل على الإنسان والتي هي مقدره ومكتوبة من قبل خلق الإنسان. ^(٣)

قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ^(٤).

وقد أخبر جل وعلا عباده أنه سيبتليهم ويمتحنهم بالمصائب والأوجاع وشدائد الأمور، وهذا تهيئة للنفس؛ لتَهون المصيبة عند وقوعها. ثم وجههم إلى الواجب فعله إذا وقعت وهو الاسترجاع، والتسليم، والصبر؛ رجاء ثواب الله الذي أعده للصابرين وبشرهم به. ^(٥) قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ الْأَنْفُسِ وَالْثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} ^(٦).

والمصائب من أهم الأسباب التي تؤدي بالإنسان إلى اليأس والقنوط لطبيعته الإنسانية كما سبق ^(٧)، لذا إن امتثل المؤمن لتوجيه الله عند حلول المصائب والابتلاءات بالصبر والتسليم لأمر الله، لم يكن لليأس مكاناً ليحل في النفس. ثم إن اليقين بأن "كل أقدار الله خير ورحمة، وأنه سبحانه لا يُقَدِّرُ الشر المحض للعبد" ^(٨) يوصل المؤمن إلى أعلى درجة من الصبر، يختفي عندها اليأس والقنوط تماماً وهي الرضا بما حلَّ به من ألم؛ فإن الرضا يسكب على النفس الطمأنينة والسكينة، فتستقيم وتصلح أحواله ويهدأ باله، ومن امتلأ قلبه بالرضا، ملأ الله صدره غنى وقناعة وراحة وسروراً ^(٩).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج ٢، ص ٤٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١١٧.

(٣) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، ج ٤، ص ٢٩٩.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج ٢، ص ٧٠٣-٧٠٤. / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، ص ٧٦.

(٦) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٦-١٥٧.

(٧) يُرجع للفصل الأول، المبحث الثالث: أسباب اليأس والقنوط من خلال القرآن الكريم.

(٨) القضاء والقدر، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص ٧١.

(٩) ينظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ص ٢٠١-٢٠٢.

الخاتمة

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بفضل الله وتوفيقه وتيسيره أنهيت بحثي، وقد ظهرت لي النتائج التالية:
- ١- اليأس: هو انقطاع الرجاء في حصول ما يطلبه الإنسان عامة، وهو أعم من القنوط حيث أن القنوط: هو انقطاع الرجاء في حصول الخير خاصة. وحكهما: التحريم.
 - ٢- إن الكفر بالله عز وجل، وكثرة المعاصي مع الإفراط في الخوف من الله، والمصائب والابتلاءات التي تنزل بالإنسان، وعدم حصول ما يريده، من أسباب نشوء اليأس والقنوط في النفس الإنسانية.
 - ٣- من الآثار السيئة المترتبة على اليأس والقنوط: سوء الظن بالله، والاستمرار في ارتكاب المعاصي، وعدم الاهتمام بفعل الطاعات وكسب الحسنات، والتهيه في دوامة الهم والحزن، والإحساس بالعجز والكسل.
 - ٤- لم يهمل القرآن الكريم مشاعر اليأس والقنوط، بل في آياته توجيهات ربانية تقضي عليها، وتبعث الأمل والرجاء في النفس، وتحيي العزيمة.
 - ٥- النهي عن اليأس والقنوط من منهج القرآن في علاجهما، إذ أن المسلم مطالب بالاستجابة لأوامر الله ونواهيه، فينتهي عن اليأس والقنوط طاعةً لله، واستجابةً لنيهيه، وبذلك يحصل له الخير، ويندفع عنه الشر.
 - ٦- إن إخبار الله في آياته عن رحمته الواسعة، ودعوته في كثير من المواطن إلى التوبة والاستغفار من الذنوب يمنع سيطرة اليأس والقنوط على نفس المؤمن.
 - ٧- حسن الظن بالله، والتوكل عليه، واستشعار عظمته وقدرته، يقوي اليأس والقنوط فيستطيع دحر يأسه.
 - ٨- امتثال المؤمن لتوجيه الله عند المصائب والابتلاءات بالصبر عليها والرضا بالقضاء والقدر يحمي من اليأس والقنوط.

التوصيات: بناء على ما ظهر لي من النتائج أوصي بـ:

- ١- الحذر من الانغماس في المعاصي، وتسويق التوبة الذي يؤدي إلى اليأس والقنوط، وعدم الاستسلام لهذه الآفة، والاهتمام باتباع المنهج القرآني لعلاجهما.
- ٢- التوصية بدراسة أثر الإيمان بأسماء الله وصفاته على النفس اليائسة والقانطة.

وأخيراً...

أسأل الله أن يتقبل بحثي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يبارك فيه وينفع به. ما كان من صواب فهو من فتح الله عليّ، وما كان من خطأ فهو من تقصيري وقلة بذلي للجهد، فأستغفر الله وأتوب إليه.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٣- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبدالموجود- علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
- ٤- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إعداد وتحقيق: خالد عبدالرحمن العك- مروان سوار، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٥- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٦- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٧- التوبة والاستغفار، تصنيف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عمر الحاجي - عبدالله بدران، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٨- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف بن المناوي، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٠- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس خضر الدوري، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م، أطروحة دكتوراة.
- ١١- رحمة الله بين الرجاء واليأس، د.مبروك عطية، دار أخبار اليوم، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ١٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن الشيخ أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية الحنبلي، مكتبة المعارف، الطائف، بدون طبعة وتاريخ.
- ١٣- صفوة التفاسير، تأليف: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ.
- ١٤- عالم الجن والشياطين، تأليف: عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٢١هـ.

- ١٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٦- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ١٧- القضاء والقدر، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ١٨- قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد عثمان السبت، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- ١٩- القول السديد شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار القبس، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.
- ٢٠- القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- ٢١- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، حققه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ.
- ٢٢- الكليات، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ٢٣- لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت.
- ٢٤- مدارج السالكين، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ.
- ٢٥- المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث.....	٣.....
المقدمة.....	٤.....
الفصل الأول: مفهوم اليأس والقنوط وحكمهما وأسبابهما والآثار المترتبة عليهما	
المبحث الأول: معنى اليأس والقنوط والفرق بينهما.....	٨.....
المبحث الثاني: حكم اليأس والقنوط.....	١٠.....
المبحث الثالث: أسباب اليأس والقنوط من خلال القرآن الكريم.....	١١.....
المبحث الرابع: الآثار المترتبة على اليأس والقنوط.....	١٣.....
الفصل الثاني: علاج اليأس والقنوط في القرآن الكريم	
المبحث الأول: الامتثال لنهي الله عن اليأس والقنوط.....	١٥.....
المبحث الثاني: تذكر سعة رحمة الله.....	١٦.....
المبحث الثالث: الإكثار من التوبة والاستغفار.....	١٧.....
المبحث الرابع: حسن الظن بالله ورجاؤه.....	١٨.....
المبحث الخامس: التوكل على الله واستشعار عظمته وقدرته.....	١٩.....
المبحث السادس: الصبر والرضا بالقضاء والقدر.....	٢٠.....
الخاتمة.....	٢١.....
المصادر والمراجع.....	٢٢.....
الفهرس.....	٢٤.....

حصل هذا البحث على المركز الأول

في اللقاء العلمي الثامن لطلاب وطالبات جامعة أم القرى

محور الأبحاث (مسار العلوم الشرعية واللغة العربية)

